مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية
المجلد (11) العدد (02) السنة (2024)
الصفحة 1-14

الواقعُ اللّغويّ في الجزائر

The linguistic reality in Algeria

أم هاني حبيطة
جامعة غرداية(الجزائر)، manothebest20@gmail.com

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 26/03/2024
تاريخ القبول:30/06/2024

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص: كانت –و مازالت– مسألة "التّعدّد اللّغويّ" موضوعا يكتسح السّاحة البحثيّة وكيانًا يُهدّد الهويّة، لاسيما في الجزائر، ومَرَدُّ ذلك إلى عدّة ظروفٍ؛ ولعلّ المتأمّل في هذا التّعدّد يُدرِك مدى الصّراع الّذي يُمكن أن تُوضع فيه من ناحية، ومدى التّنوّع الذي تحظى به من ناحية ثانية.

الكلمات المفتاحية: الواقع؛ اللغة؛الجزائر؛ التعدد اللغوي.

ABSTRACT

The topic of "multilingualism" was - and still is - a subject that is sweeping the arena of research and an entity that threatens identity, especially in Algeria, due to several circumstances. Perhaps thinking about this diversity will realize the extent of the conflict that can be placed in it on the one hand, and the extent of the diversity it enjoys on the other hand.

Keywords: Reality; Language; Algeria; Multilingualism.

1. مقدمة:

يجب إنّ مسألة "التّعدّد اللّغويّ" معروفة منذُ القِدم، إذ إنّ القبائل قديما في شبه الجزيرة العربيّة كانت تتميّز بهذا التّنوّع، فكان يُقالُ هذه لغة قبيلة كذا وهذه لغة قبيلة كذا، حتّى أنّ هذا التّعدّد اللّغويّ أصبح مجالًا للكشف عن مدى الاختلاف والتّمييز بينها، عندما اختلط العرب بغيرهم من العجم، فصارت هذه اللّغات محلّ صراعٍ لغويّ؛ وانتقلت بذلك هذه الظّاهرة عبر الزّمن لتصل إلى ما وصلت إليه بعد التّطوّر الهائل في اللّغات واللّهجات؛ ولعلّ الجزائر ممّن يشهدُ هذا التّعدّد اللّغويّ، تارةً بازدواجيّة لغويّة وأخرى بثنائيّة لغويّة، من هنا، جاءت فكرةُ هذه الورقة البحثيّة لتجمع بين الجانبين إجابةً عن الإشكاليّة:

التعدّد اللّغويّ في الجزائر محلّ تنّوع أم محلّ صراع؟

الفرضيّات:

إذا رأينا المسألة من جانبها الإيجابي، فهي تنوّع لغويّ تشهده مناطقها.

إذا رأينا المسألة من جانبها الاستدماريّ الاستعماريّ أدركنا مدى التّشتّت الّذي سعى إليه الاستعمار بدءً باللّغة كونها وعاء الهويّة.

لأجل ذلك، ارتأينا اتّباع منهجٍ يجمع بين مناهج، تارةً بالوصف والتّدقيق، وآخر بالمقارنة والتّفريق، وآخر بتتبّع الظّاهرة تاريخيّا حسب ما يقتضيه هدف البحث من تفريقٍ بين التّوجّهات، والفصل بين المصطلحات.

2.التعدّد اللّغوي

تحت مصطلح "التّعدد اللّغويّ" نجد الكثير من المصطلحات، لعلّ من أبرزها: الازدواجيّة اللّغويّة، الثّنائيّة اللّغويّة، اللّغة الأمّ، الصّراع اللّغويّ، التّسامح اللّغويّ، التّعايُش اللّغويّ...وغيرها من الاصطلاحات.

1.2التّعدّد:

عرّف د.بوجمعة وعلي "التّعدّد اللّغوي" بأنّه "استعمال أكثر من لغة واحدة، سواء أكان هذا الاستعمال متعلّقًا بشخص أو مؤسّسة أو نظام تعليميّ أو قطر من الأقطار.

وذكر أن التّعدّد اللّغويّ ليس وصفًا للواقع اللّغويّ فقط، بل هو تعبير عن مجموعة مِنَ الفلسفات والأفكار؛ الّتي جاءت كاستجابة لمشاكل عرفتها بعض المجتمعات في مراحل معيّنة من مراحل نموّها وتطوّرها التّاريخيّ.

(د.بوجمعة وعلي، 2008، ص154)

ويمكن النّظر إلى مصطلح "التّعدد اللّغوي" من جانبين:

الأوّل: يتعلّق باللّغة الواحدة التي تعرف تعدّدا داخليًّا (اللّهجات)، حيث أنّ اللّغة العربيّة مثلًا تحتوي على لهجاتٍ؛ ويمكن النظر إليها من جانبين أيضاً، جانب الجهة، وجانب المنطقة.

فيمكن مثلا النّظر إلى اللّهجات حسب الجهات، فيُقال: هذه لهجة الوسط، وهذه لهجة الشّمال، وهذه لهجة الغرب، وهذه لهجة الشّرق، وهذه لهجة الجنوب..وغيرها.

كما يُمكِنُ النّظر إليها حسب المناطق، فيُقال: هذه لهجة جلفاوية نسبة إلى الجلفة، وهذه لهجة مسيليّة نسبة إلى المسيلة، وهذه لهجة أغواطيّة نسبة إلى الأغواط مع أنّ هذه اللّهجات من منطقة الوسط.

2.2 اللّغة

تعريف "اللغة" لغة: اسم ثلاثيّ على وزن "فُعَة"، وأصلُهُ "لُغْوَة" على وزن "فُعْلَة" فحُذِفَتْ لامُهُ، وهو مِن الفعل الثّلاثيّ المتعدّي بحرفٍ: لَغَا بكذا، أي تكلّم؛ فاللّغة هي التّكلّم، أي النّطق الإنسانيّ.

واللّغة حسب ابن منظور : "اللُّغة جمع لُغَاتٌ ولُغُون، وَلَغَا لَغْوًا تَكَلَّمَ، واللّغوُ واللّغَا ما كانَ مِنَ الكلامِ غير معقود عليه، واللُّغَة مِنَ الأسماء النّاقِصة." (ابن منظور1998، ص4049-4050)

ويُعدّ "عثمان بن جنّي" أوّل من قدّم مفهومًا اصطلاحيًّا دقيقًا للّغة حينما ذكرَ أنّ : "حدُّ اللّغة أصواتٌ يُعبّرُ بها كلّ قومٍ عن أغراضِهِمْ."

وقد تضمّن هذا التّعريف عدّة خصائص للغة، "فاللّغة ذات طبيعة صوتيّة، وذات وظيفة اجتماعيّة، فهي أهمّ وسائل الاتّصال الإنسانيّ من حيثُ الدّلالة، والتّعبير، والتّبيين والاتّساع." (محمود عكاشة،2006، ص16)

وبالتّالي ف "صوتيّة" اللّغة، أبعدت تلك الآراء الّتي تربط اللّغة بالكتابة، و اجتماعيّة اللّغة أكسبت اللّغة صفة الاختلاف من قوم إلى آخر.

والجديرُ بالذّكر أنّ العرب قديما أطلقت مصطلح "اللّغة" تعبيرًا عن "اللّهجة"، فيُقالُ هذه لغة أسد وهذه لغة تميم، ولا يُقالُ هذه لهجة أسد وهذه لهجة تميمٍ.

وإذاما قارننا هذا المفهوم بما تُقدّمه اللّسانيات العامّة، وجدنا هذا التّعريف يتوافقُ مع مصطلح "اللّسان" الّذي من خصائصه التّجريد، وكذا اجتماعيّته الّتي خصّته بالجماعة اللّغوية، فيُقالُ هذا لسانٌ فرنسيّ وهذا لسانٌ إنجليزيّ وهذا لسانٌ عربيّ...كما يُقالُ هذا لِسانٌ جزائريّ وهذا لسانٌ مصريّ وهذا لسانٌ مغربيّ.

وإذا عُدنا إلى "عبد الرّحمان بن خلدون" في مُقدّمته نجد تعريفًا لها فيقول: " اللّغة في المتَعَارَف هي عبارةُ المتكلّم عن مقصوده، وتلك العبارةُ فعل لسانيّ ناشئة عن القصد لإفادةِ الكلامِ، فلا بُدّ أن تصير ملكة مُتقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللّسان، وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم." (عبد الرحمان بن خلدون،2004، ص1254)

وبالتّالي مفهوم بن خلدون للّغة تناول عدّة جوانب لعلّ من بينها:

-أنّ اللّغة "مَلكَة" لكلّ إنسان.

-أنّ اللّغة لها جانبٌ مجرّد وهو اللّسان، وجانبٌ إنجازيّ وهو الكلام.

-أنّ اللّغة أداةٌ يعبّر بها المتكلّم عن قصده (قصديّة المتكلّم).

-أنّ اللّسان مرتبط بالقصد، والكلام مرتبطٌ بالإفادة.

-أنّ اللّسان يختلف من أمّة إلى أخرى.

و وردَ في الصّحاح للجوهري أنّ "اللّغات جمع لُغَة(فُعلَة)، مِنْ لغَا أيْ تَكَلّمَ، وَ اللّغةُ أصْلُهَا لُغَيٌ وَلُغَوٌ وَجَمْعُهَا لُغًى وَلُغَاتٌ، والنّسبَةُ إلَيْهَا لُغَوِيّ" (إسماعيل الجوهري، 1987، ص2484)

وذكرها الفيروز آبادي في مادة (لغو) بالواو، وجمعها على لُغَاتٍ ولُغُونٍ، وتُعَدّ كلمة اللّغة عربية أصيلة، ذات جذور عربية، وتجري في اشتقاقها ودلالاتها على سُنَنِ الكَلِمِ العَربيّة، وذهب فريقٌ منَ التّابعينَ إلى أنّ "لغة" منقولةٌ من اليُونانية، حيث أخذها العرب من كلمة "لوغوس" (LOGOS)، ومعناها الكلام اللغة اليونانية، أو اللّغة، ثم عربوها إلى "لوغوس"، ثم أعملوا فيها من الإعلال والإبدال، وغيرهما من الظّواهر الصّرفية. (مجد الدين الفيروزآبادي، 1997، ص83)

وما يُلاحَظُ أنّ كلمة "لغة" لم ترد في القرآن الكريم إلّا بكلمة "لسان" في مواضع نذكر منها:

قال الله تعالى: "وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي يَفْقَهُوا قَولِي" سورة طه

" وَيَضيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ" سورة الشعراء

"وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصدّقُنِي إنّي أَخَافُ أَنْ يُكَذّبُونِ" سورة القصص

"وَمَ أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيّنَ لَهُم فَيُضِلّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ" سورة إبراهيم

"وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُم وَأَلْوَانِكُمْ إنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ" سورة الروم

" وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنّهُمْ يَقُولُونَ إِنّمَا يُعَلّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الّذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيّ مُّبِينٌ " سورة النّحل

" وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًا لِيُنْذِرَ الّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ" سورة الأحقاف

"بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُبِينٍ" سورة الشعراء

" فَإِنّمَا يَسّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلّهُمْ يَتَذَكّرُونَ " سورة الدخان

" إِنّمَا يَسّرناهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشّرَ بِهِ المتّقِينَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًا " سورة مريم

ونجدُ ابن تيمية عرّف اللّغة بأنّها: "أداة تواصُلٍ وتعبيرٍ عمّا يتصوّرُهُ الإنسانُ ويشعرُ بِه، وهيَ وعاءٌ للمضامينِ المنقولةِ، سواءٌ أكانَ مصدرُها الوحيُ، أم الحِسّ، أم العقلُ، وهي أداةٌ لتمحيصِ المعرفةِ الصّحيحةِ، وضبطِ قوانينِ التّخاطُبِ السّليمِ ، (أحمد عبد السلام، 2006، ص800) ويُستفَادُ مِن تعريفِ ابن تيمية للّغَةِ السّمَاتِ التّاليَة

- ✓ أنّ للّغةِ وظيفةٌ اتّصالية تعبيريّة.
- ✓ أنّ لهَا علاقةٌ بالعقل والتّصوّر والمشَاعِر.
- ✓ أنّ لّلغة أهمية في نقل المعرفة وتمحيصها.
- ✓ أمّا في سرّ الفصاحة لابن سنان الخفّاجي فقد أشار إلى وضعيّة اللّغة بتعريفه للّغة أنّها "كلّ ما يُتَوَاضَعُ علَيهِ القومُ مِنَ الكَلَامِ." (ابن سنان الخفاجي، 1953، ص20)
- ✓ ومن هذه التّعاريف يُمكن أن تُعرّف اللّغة على أنّها "نِظامٌ إنسانيّ، منَ العلامات الصّوتية المنطوقة، الّتي تُمكّن الأفراد مِن التّواصُلِ فيما بينهم، وهي نَسَقٌ مِن الإشاراتِ والرّموز، يشكّل أداة مِن أدوات المعرفة" (عنود الشايش الخريشا، 2013، ص224) كما يُضافُ إلى هذا التّعريف أنّها تواضعيّة.
- ✓ وعرفها ميللر (Miller) بأنّها استعمال رموز صوتية مقطعية يُعبر بمقتضاها عن الفكر. (أكرم صالح محمود خوالده، 2016، ص28)

3.2.اللّهجة

ورد في (معجم مقاييس اللغة) أنّ : "اللّام والهاء والجيم أصلٌ صحيحٌ يدلّ على المُثابرة على الشّيء وتلازُمه، وأصلٌ آخر يدلّ على اختلاط في أمره...وقولهم: هو فصيحُ اللّهْجَة و اللّهجة: اللّسان، بما ينطقُ به مِن الكلام، وسُمّيَت لهجة لأنّ كُلّا يلهجُ بلُغَتِهِ وكَلَامِهِ".[i] (أبو الحسين بن فارس، 0000، ص214-215)

و اللّهجة عند (إبراهيم أنيس) هي: مجموعة من الصّفات اللّغوية الّتي تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة".

يميّز (سيرجو سيبتي) بين اللّغة واللّهجة فيقول: "فالدّرجة الأدنى (اللّهجات) تُستخدَمُ كَلُغة مُحادَثة في إطار العائلة والأصدقاء واللّقاءات الرّسمية، أمّا الشّكل الثّاني ذو المستوى الأعلى فيُستخدَمُ كوسيلة اتّصال مكتوبة، وفي السّياقات الرّسمية". (سيرجو سيبني، 2001، ص85)

4.2.الفصحى

لغة:

ذكر (ابن منظور) أنّ "فصح: الفصاحة، فصح بالضّمّ: تكلّم العربية أفصح تكلم بالفصاحة أفصح عن الشّيء إفصاحًا وإذا أبينه وكشفه، فصح الرّجل فازداد في الفصيح في اللّغة: المنطلق اللسان في القول الّذي يعرف جيّد الكلام من رديئه".

وردت في (القاموس المحيط): "كلمة (فُصحى) مِن الفصيحِ والفَصَاحَة: البيان فصح فهُو فصيحٌ وفصيحٌ مِن فَصحاء وفصحاء وفصح وهي فصيحة من فصاح فصائح أو اللّفظ الفصيح مايدرك حسنه بالسّمع وفصح، الأعجمي ككرم تكلم بالعربية وفهم عنه أو كان عربيا، فازداد فصاحة وأفصح تكلّم بالفصاحة ويوم فصح بالكسر ومفصح بلا غيم".(مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط)

اصطلاحًا:

اللّغة الفصحى "هي ذلك المستوى الكلامي الّذي له صِفة رسمية، والّذي يستعمله المتعلّمون تعليمًا راقيا" (حسام البهنساوي، 2004، ص6)، أو هي "لغة الأدب والعِلمِ، وهي لُغَةُ التّعليم في المحاضراتِ في الجامِعَة، وهِي خالية مِن الألفاظِ العامية أو السّوقية أو المبتذلة كما تُراعى فيها الدّقّة في اختيار المفردات وأصُول الصّحّة النّحوية".(محمد علي الخولي، 2000، ص167-168)

3.الازدواجيّة اللّغويّة والثّنائيّة اللّغويّة

1.3الازدواجيّة اللّغويّة: Bilinguisme

نجد في مادّة "زوج" في لسان العرب: "الزّوج خِلافُ الفرْد والزّوجُ الاثنَيْن، ويُقالُ عِندهُ زوج نِعالٍ وزوْج حمامٍ يعني ذَكريْنِ وانثَيَيْنِ، قال أبو بكر: العامّة تُخطِئ فتظنّ الزّوج اثنان، وليس ذلك من مذاهب العرب إذْ كانوا يتكلّمون بالزّوجِ موحدا في مثل قولهم: زَوْجُ حمَامٍ لكنّهم يُثنُّونهُ فيَقُولُون عِنده زَوْجان مِنَ الحمامِ يعنون ذكر وأُنثى، ويُقالُ عندهُ زَوْجَان مِنَ النِّعالِ اليَمِينِ وَالشِّمَالِ، ويوقعون الزّوجيْنِ على الجِنسَيْنِ المختلِفَيْنِ نحو الأسود والأبيض والحُلو والحَامِض، قال اللهُ تعالى: "فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ" (سورة المؤمنون/27)

قال تعالى: "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ" (سورة الذّاريات/49)

فالسّماء زوجٌ والأرضُ زوْجٌ والنّهارُ زوجٌ واللّيلُ زوجٌ ويجمعُ الزّوجَ أزاويجٌ. (ابن منظور،1998)

أمّا في الاصطلاح فنجد أندري مارتينيه يعرفّها على أنّها : " الحالةُ التي يستعملُ فيها نفسُ الشّخصِ لِسانيْنِ بنفْسِ درجةِ الإتقانِ." (أندري مارتيني، د.ت، ص154)

أمّا "إيميل بديع يعقوب" عرّفها بقوله: "وجود لُغتيْنِ مُختَلِفتَيْن، عند فرد ما، أو جماعة ما، في آن واحد...فالازدواجيّة الحقّ لا تكون إلّا بين لغتين مختلفتين كما بين الفرنسيّة والعربيّة، أو الألمانيّة والتّركيّة.."

(إيميل بديع يعقوب، 2006، ص278-279)

ونجد "هارالد هارمان" الّذي يرى أنّ الازوداجيّة اللّغويّة هي التّعدّد اللّغويّ بقوله: "تُعدّ الازدواجيّة والتّعدّدية سواء كانت خاصّة بشخصٍ بعينه أو جماعة اجتماعيّة معيّنة من أهمّ المظاهر اللّغويّة الشّاهدة على التّنوّع اللّغويّ الجدير بالملاحظة والاهتمام. " (هارالد هارمان،2006، ص46)

ونجد حالة الازدواجيّة اللّغويّة في الجزائر في تقابُل اللّغتين العربيّة والفرنسيّة بشكلٍ واضحٍ؛ بحيث وجدت الجزائر نفسها بعد الاستقلال في موقفٍ لغويّ صعب، في ظلّ سياسة التّجهيل التي مارسها الاستعمار، وسياسة الفَرْنَسَة، فإمّا أن تحلّ الفرنسيّة محلّ العربيّة، وإمّا نشر حركة التّعريب وإعادة العربيّة مكانتها.

وما يُلاحَظُ أنّه كان استعمال اللّغة الفرنسية في الواقع الجزائري واضحًا وراسِخًا—على الأقلّ في أبسط صورهِ –في:

–اللّوائح الإشهارية، إشارات المرور.

–الوثائق الرسمية المختلفة لاسيما التي تخص البنك والبريد والمستشفيات.

–البضائع المختلفة من ألبسة وأدوات التجميل والعطور وغيرها.

–تخصيص صحف وقنوات باللغة الفرنسية.

و ما يُلاحظُ في الآونة الأخيرة، صراعٌ آخر بين اللّغتين الفرنسية والإنجليزية، حيث أخذت اللغة الإنجليزية تكتسحُ الواقع الجزائري مكان الفرنسية، ويظهر ذلك جليا من خلال:

– إدراج تدريس اللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم الابتدائي، والذي جاء تنفيذا لقرارات مجلس الوزراء المنعقد بتاريخ 28/8/2022 ومجلس الوزراء المنعقد بتاريخ 28/5/2023، و إلحاقا بالمنشور رقم 1513 المؤرخ في 19 سبتمبر 2023 والمتعلق بإدراج تدريس اللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم الابتدائي.

–إجراء امتحان المستوى في اللغة الإنجليزية للنّاجحين في مُسابقة الدكتوراه دفعة2023، و إدراجها في مقاييس التّكوين الأساسية.

–الانطلاق في تكوين الأساتذة الجامعيين الموظّفين من دفعة 2023 في اللغة الإنجليزية وإجراء امتحانات فيها، و الاستعداد للتّدريس بها مُستقبلًا بدءًا بالمقاييس الثّانوية.

–تعميم اللّغة الإنجليزية على مُستوى التّخصّصات الجامعية لاسيما العلمية والتّقنية منها مثل العلوم الطّبّيّة والإعلام الآلي والبيولوجيا.

وفي هذا الصّدد نجدُ المدافِع عن الهوية د. عبد القادر فضيل يذكر مجموعة من القرارات التي كان لها الفضلُ في إحياء روحِ العربيّة في الجزائر بعد الاستقلال منها: قرار ترسيم اللغة العربية غداة الاستقلال، وتوسّع القرار في1965 لتعرّب السّنة الأولى، ثمّ تعريب الأقسام العلميّة في 1971، ثمّ القرارات السّياسيّة 1972، وانعقدت النّدوة الأولى للتّعريب التي أشرف عليها الرّاحل هواري بومدين، حيث قدّم المشاركون عدّة أفكار بخصوص اللّغة، وخرجت النّدوة بتعليمات لتعريب المحِيطِ، وتوصيات تعريب الحالة المدنيّة، والشّروع في استكمال التّعريب، ثمّ تنصيب التّعليم الأساسيّ، الّذي حدد بصفة نهائيّة اللّغة الّتي ينبغي نقل المعارف بها إلى التّلاميذ.

هذا ونجدُ جهودًا لمؤسّسات وطنيّة، حاولت هي الأخرى إعادة العربيّة مكانتها، لاسيما المجمع الجزائري للغة العربيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، مركز البحوث العلميّة والتّقنيّة لترقية اللّغة العربيّة، كما نجد الآن مختلف مخابر البحث

الجامعيّة المتخصّصة وفِرَق البحث فيها، حمايةً للموروث اللّغوي، مثل مخبر التّراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري التّابع لجامعة غارداية، و وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر التابعة لجامعة قاصدي مرباح بورقلة.

2.3 الثّنائيّة اللّغويّة:Diglossie

يُعرّفها أ.د. صالح بلعيد: " هي استعمال خاصّ وعامّ للغة واحدة، ضِمن جماعةٍ لغويّة واحدةٍ، وِفقَ المقال والحال وسياق الحال، وقد جاء هذا النّوع في كثير من اللّغات البشريّة التي تستعمل مستويَيْن من اللّغة ويتمثّل ذلك في اللّغة العربيّة الّتي لها نمط العربيّة الفُصحى المثاليّة، أو عربيّة القرآن الكريم، وهذا مستوى عالٍ يحملُ الثّقافة التّراثيّة في مقامِها الرّفيع، كما نجد مستوى أدنى هو المستوى البسيط الّذي لا يتكلّف فيه النّاطِق، بل ينحازُ إلى السّهولة والاختزال واليُسر. " (أ.د.صالح بلعيد، 2008، ص43)

ويرى إيميل بديع يعقوب أنّ الثّنائيّة اللّغويّة تتعلّق بوجود اللّغة الفصيحة إلى جانب اللّهجة وذلك بقوله:

"أمّا ثنائيّة الفصحى والعامية التي نعنيها في هذا البحث، فيُرجَّحُ أنّها نشأت منذُ نُشوءِ العامية نفسِها، أي في عصر الفتوحات الإسلاميّة الأولى، بعد اختلاط العرب بالأعاجِم. " (إيميل بديع يعقوب2006)

ويجبُ أن نذكر الاختلاف الاستعمالي لمصطلحات "اللغة، اللهجة، اللسان" تارة بالائتلاف، وأخرى بالاختلاف، فقديما استُعمل مصطلح "اللغة" للدّلالة على "اللّهجة"، كما نجد استعمالات للغة للدلالة على "اللّسان"؛ كما نجد مصطلحات تتقاطع مع مصطلح "اللّهجة" مثل " العاميّة" و "الدّارجة".

ونجدُ حالة الثّنائيّة اللّغويّة في الجزائر في تلك التّقابلات بين اللغة العربيّة الفصيحة ومُختلف اللّهجات الجزائريّة، وفي هذا نميّز اتّجاهات:

=>اتجاه دعى إلى اللّهجة، مثل أنيس فريحة.

=>اتّجاه دعى إلى اللغة العربيّة الفصيحة، مثل الطّيب البكّوش.

=>اتّجاه دعى إلى المزاوجة بين اللغة الفصيحة واللّهجة وذلك بإحلال كلّ واحدة منهما محلّها.

و قد انتشرت في الجزائر العديد من اللّهجات من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، هذا إلى جانب اللّهجات البربرية مثل القبائلية المنطوقة في منطقة القبائل، والشاوية المنطوقة في منطقة الأوراس، والميزابية المنطوقة في منطقة غرداية بالجنوب الجزائري، والترقية المنطوقة في منطقة التوارق بالهوقار ، وهي في مجملها شفوية بأشكال مختلفة ولكلّ منها كتابة تميّزها عن غيرها. (حفيظة تازروطي، 2003، ص44)

وقد عبّر (عبد الرّحمن عزّي) عن هذا بقوله: "و تنقسمُ اللّهجة العربية الجزائرية إلى عدّ أقسامٍ كالدّارجة الرّيفية (غير المثقّفة) الخالصة، و الدّارجة المدنية القديمة الخالِصة و الدّارِجة العربية (المثقّفة) و الدّارجة المدنية الحديثة، و الدّارجة الفرنسية(المثقفة) والفصحى (العربية المعيارية الحديثة، والفرنسية)"

وتجدر الإشارة إلى أنّ الاستعمار الفرنسيّ بقدر ماحاول فرنسة الشعب الجزائريّ، بقدر ماحاول أيضا تهجينه بإحلال اللّهجات محلّ العربيّة الفصيحة في التّعليم.

وبالتّالي نلاحظ أن المصطلحات تتداخل تارة، وتبتعد تارة أخرى، ويمكن وضع تمييز جزئي بينها بمخطّطات مبسّطة كالآتي:

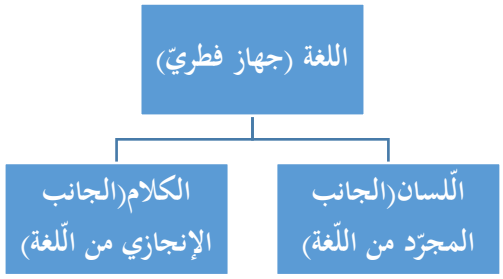

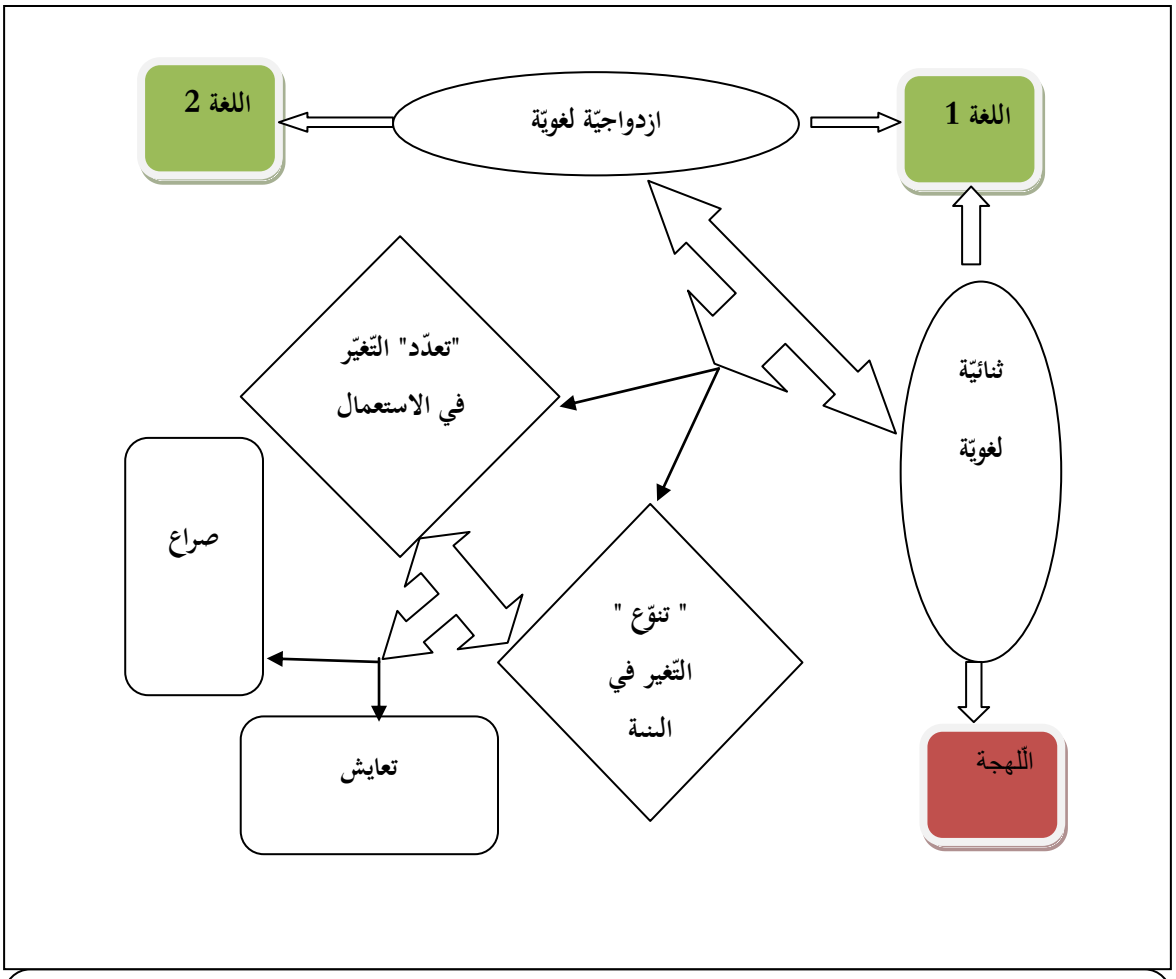

مخطّط يوضّح علاقة كلا من المصطلحات الآتية ببعضها البعض: " اللغة، اللسان، الكلام، اللهجة، الازدواجية اللغوية، الثنائية اللغوية، التعدد اللغوي، التنوع اللغوي، الصراع اللغوي، التعايش اللغوي."

وفيما يلي رسم بياني لواقع استعمال اللغة العربية في المجتمع الجزائري: (سارة علي، 2021، ص2503)

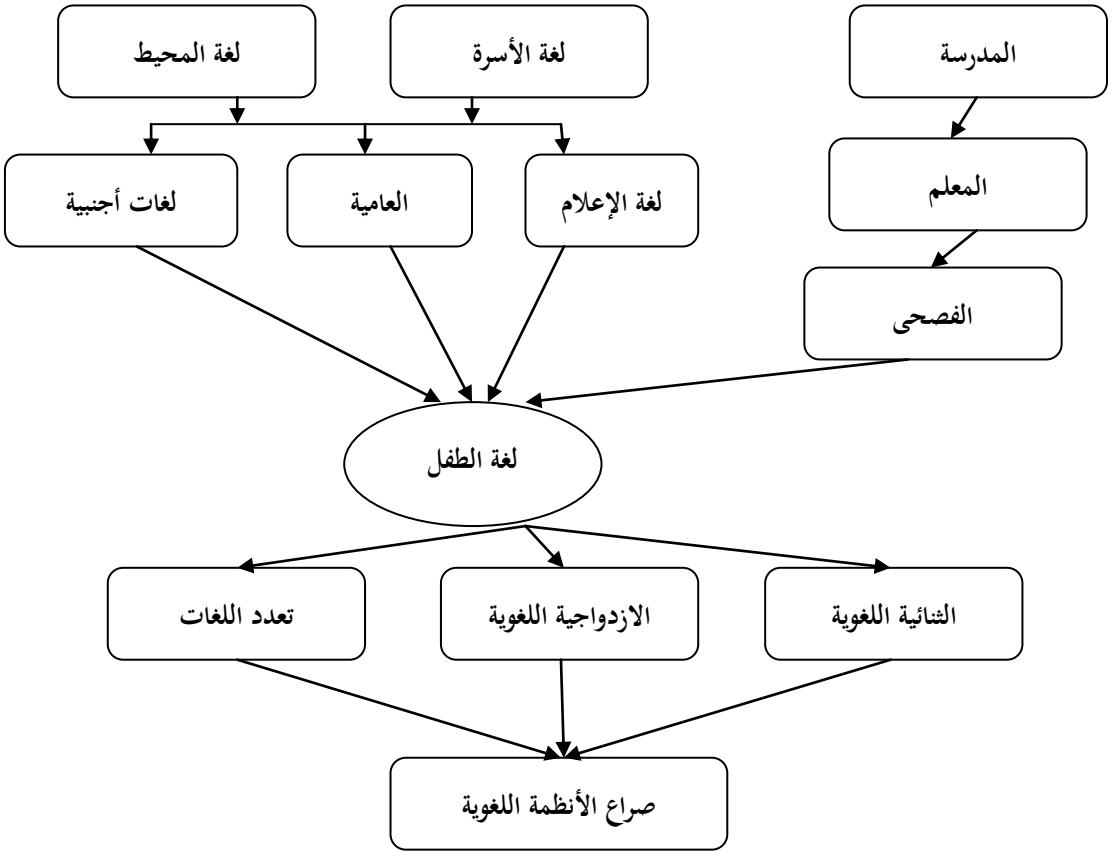

4. عوامل انتشار الدّارجة على حِسابِ العربيّة الفصيحة

لعلّ مِنْ أبرزِ ما جعل الواقع اللّغويّ في الجزائر يسيرُ في توجّه على غيرِ المرادِ مِنه هو انتشار العامية أو الدّارجة على حِساب اللّغة العربيّة الفصيحة، ومِن أهمّ العوامل المتسبّبة في ذلك:

1/- شيوع العاميّة في السّاحة التّعليمية وخاصّة بالتّعليم الجامعي وإلغاء التعامل باللغة العربية الفصيحة في الكثير من التّخصّصات لاسيما التّقنية منها والعلميّة.

2/- استعمال الدّارجة في كثير من وسائل الإعلام والثّقافة بدءً بشبكة التّواصل الاجتماعيّ، إضافة إلى بعض الحصص بالقنوات التّلفزيونيّة، وحتّى الأفلام المختلفة.

3/- استعمال العاميّة في عدّة اجتماعات سياسيّة رسميّة في حين أنّ اللغة الأولى الرّسمية هي اللغة العربية الفصيحة.

4/- شيوع الدّارجة في كثير من المطبوعات والصّحف، حتّى ولو كان ذلك على سبيل التّهكّم والسّخرية، أو حتّى المزاح في شكل رسوم كاريكاتوريّة.

5/- معظم المسرحيّات الموجّهة للكبار وللصّغار بالعامية.

6/- المؤامرات الغربيّة ومحاولاتهم المختلفة في محو الهويّة العربيّة الإسلاميّة من خلال وسائل مختلفة، لاسيما كتابة الكلمات والعبارات العربية بالحرف الأجنبيّ الّذي طغى على مختلف وسائل التواصل.

7/- توسّعت اليوم العامية لتشمل مختلف المعاملات، لاسيما التّجاريّة منها والإشهاريّة، وهذا ما يهدّد كيان العربيّة الفصيحة.

5. أثر تفشّي العامية في الأوساط التّعليميّة

تُعتبر اللّهجات في ذاتها كسرًا للقاعدة وخروجا عن المألوف من اللغة العربيّة الفصيحة، وهذا ما تسبّب في التّنوعات اللّهجيّة المختلفة؛ ومن بين ماتحدثه الدّارجة من خلل يمسّ مستويات اللّسان عند المتعلّم في المدرسة الجزائريّة:

1/-على المستوى الصّوتي: ويُقصد به أيّ خلل يكون على مستوى الأصوات، سواء في تغييرها ككلّ بأصوات أخرى أو في أدائها، نجد مثلا التّلميذ يقول "ندخل" بدل قوله "أدخل"، وهذا التغيير في الصّوت ينتج عنه خلل في القاعدة التي تجعل "النّون" في المضارع خصّيصة الجمع وليس المفرد؛ كما نجد كتابتهم "صبورة" بدل "سبورة"، و غير ذلك.

2/- على المستوى الصّرفي: في كثير من الأحيان يغيّر المتعلّم الأوزان الصّرفية الخاصة بالأفعال أو اسم الفاعل أو اسم المفعول وغيرها من الأوزان، فنجد مثلا قوله "جَا" بدل "جاءَ" و "كُولْ" بَدلَ "كُلْ" و "رُوحْ" بَدَلَ "رُحْ".

3/- على المستوى التّركيبي والنّحوي: توجد العديد من الأساليب التي غلب عليها الرّكاكة في تركيب الجملة، لاسيما التكرار والتّقديم والتّأخير والحذف في غير مواضعِهم.

4/- على المستوى المعجمي: دخلت الكثير من المصطلحات اللّهجيّة في التّعابير حتّى كادت أن تكون كلّها دارِجة أحيانًا.

6.رفض التّعليم بالعامية

على الرّغم من أنّ العامية هي الأخرى أداة للتّواصل بين أفراد المجموعة اللّغوية إلّا أنّ التّعليم بها مرفوضٌ للأسباب الآتية:

أسباب رفض التّعليم بالعامية

1-أسباب دينية

طمس الهوية الإسلامية، وإلغاء لغة القرآن

2-أسباب قومية

ضعف رابطة الانتماء العربي الواسع

3-أسباب تربوية

أثبتت الدراسات أنّ العامية تُضعف إمكانيات التّعليم الكامنة

4-أسباب لغوية

لا يُمكن استعمال الفرع وإهمال الأصل، فالعامية أضيق من الفصحى.

5-اختلاف العاميات

يعتمد التعليم على الائتلاف لا على الاختلاف والمايز.

6-محدودية العامية

العامية محصورة فكرا ولفظا

7.دعاوي هدّامة

أثيرَت الكثير من الدّعاوي الهدّامة الّتي من شأنها زعزعة كيان اللّغة العربية الفُصحى نذكر منها:

-الدّعوة إلى العامية وممّن دعا إلى ذلك المستشرق (وليام لولكس)، والقاضي (ويلمور) الّذي دعا إلى كتاب اللغة الفصحى بالعامية.

- الدّعوة إلى تيسير النّحو و استبدال الحرف العربي بالحرف الأجنبي، ومن ذلك الدّعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللّاتينية وذلك من طرف أحد أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة وهو عبد العزيز فهمي.

8. خاتمة:

من خلال ورقتنا البحثيّة نخلص إلى جُملة من النّتائج وهي كالآتي:

*لعلّ من أسرار "العربيّة الفصيحة" أنّها ارتبطت بالقرآن الكريم، وهذا ما سيضمن ديمومتها واستمراريتها إلى أن يرث الله الأرض ومافيها؛ وبالتّالي فكلّ المحاولات التي شاءت أن تحطّ من مقامها ومكانتها بين اللّغات ماهي إلّا محاولاتٌ قد تؤثّر قليلا ولكنّها سائرة في طريق الفشل.

*قد يؤدّي التنّوع والتعدّد اللّغويين إلى صراعٍ لغويّ داخليًا كان أو خارجيًّا، وبالتّالي على أفراد هذه الأمّة الوعي أنّ التّصدّي لهذا الصّراع يكون داخليّا قبل التّصدّي له خارج هذه الحدود.

* قد يكون التّعدّد اللّغويّ على سبيل التنوّع لا أكثر في جانبه الإيجابي، إنّه "تسامح وتعايش لغويّ".

* يجب أن تتكاتف الجهود لأجل الحدّ من استعمال العامية وذلك باتّباع سياسة وتخطيط لغويين، كما يمكن البدء بهذا التّغيير انطلاقًا من المدرسة والجامعة والإعلام باعتبارهم الأكثر تأثّرا وتأثيرا، كإلزام التكلّم باللغة العربية الفصيحة في القاعة التعليميّة، وإنجاز الأبحاث بها، ومختلف التعاملات، كما يتمّ التّشجيع على التعريب إن كان التخصّص تقنيا علميا يستلزم اللغة الأجنبيّة.

*السّياسة الاستعماريّة سياسة استدماريّة، تبدأ من التعليم كونه أكثر قطاعٍ حسّاس، وتبدأ من الصّوت لتصل إلى اللّغة.

*يتوجّه الواقع اللغوي الجزائري إلى اللّغة الإنجليزية في مقابل اللغة العربية الفصحى فتشهد بذلك تعدّدا لغويا.

9. قائمة المراجع:

1-بلعيد، صالح، (2008)، علم اللّغة النّفسي، دار هومه، الجزائر.

2-البهنساوي، حسام، (2004)، العربية الفصحى ولهجاتها، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة.

3-تازروطي، حفيظة، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، (2003)، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر.

4-ابن خلدون، عبد الرّحمان، (2004)، المقدّمة، تح: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة، مصر.

5-الخولي، محمد علي، (2000)، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان.

6-ابن فارس، أبو الحسين، (0000)، مقاييس اللغة، دار الفكر للطّباعة والنّشر، ج5، د.ت.

7-مارتيني، أندري، مبادئ في اللّسانيّات العامّة، (0000) تر: سعدي زبير، دار الآفاق، الجزائر.

8-محمود ، عكاشة، (2006)، علم اللغة: مدخل نظري في اللّغة العربيّة، دار النشر للجامعات، القاهرة

9-ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، (1998)، تح: عبد الله علي الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة.

10-هارمان، هارالد تاريخ اللّغات ومستقبلها، (2006) تر: سامي سمعون، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والتّراث، قطر.

11-وعلي، بوجمعة، (2018)، اللغة العربيّة والتّنمية، Kutub Ltd-، لندن.

12-يعقوب، إميل بديع، موسوعة علوم اللّغة العربيّة، (2006)، دار الكتب العلمية، لبنان.

المقالات:

13- سارة، علي، (2021)، واقع اللغة العربية في الجزائر وقدرتها على مواجهة التحديات، المدونة، الجزائر، المجلد8، العدد3، ص2497-2510.